

أثر استخدام الآلات

في تعطل العمال

لم تكن أوروبا تعرف التعطل بين العمال قبل الحركة الصناعية ، وذلك لأن الوسط الزراعى على ما فيه من انخفاض مستوى المعيشة يوفر العمل للجميع ، إذ أن الزراعة لا تعرف الاضراب ولا هى تكدر الأسواق بمحاصلاتها (إلا إذا كانت هذه المحاصيل يتوقف رواجها وكسادها على المصانع كما هو الشأن فى القطن) فإنها تزود المدن بالطعام والمواد الخام للباس ونحو ذلك .

ولكن المصانع الآلية تفرق الأسواق بمتجاتها التى يعجز الجمهور أحيانا عن شرائها فتقفل أبوابها وتعطل آلاتها إلى أن تستهلك متجاتها ، وفى هذه الحال يتعطل عمالها ، فالتعطل الذى يفشو فى أوروبا ينشأ من وفرة الإنتاج مع العجز عن الاستهلاك ، وهذه الوفرة فى الإنتاج هى نتيجة استخدام الآلات .

ويجب لهذا السبب ألا نخشى التعطل فى مصر إلا فى البيئات الصناعية القليلة والصغيرة معا فى المدن ، وهذا هو الواقع ، فإن مسألة التعطل ليست من المسائل الخطيرة فى بلادنا إلى الآن ، على أن ذلك يجب ألا يبعثنا على التهور من شأنها والسكوت عليها حتى تتضخم وتتفاقم . فإن سكان القاهرة والاسكندرية يذكرون إلى الآن العامل الذى كان يعمل شعلة فى طرف عمود يوقد به مصابيح الشوارع . وقد اختفى هذا العامل لأن شركة الاضاءة استغنت عنه باختراع آلى يجعل المصابيح تضىء فى ميعادها بلا حاجة إلى عمال .

وكنا إلى وقت قريب نرى عامل الترام وقد وقف عند مفارق الخطوط لى ينقل الترام إلى هذا الخط أو ذاك بعمود من الحديد ، ولكن هذا العامل ، قد اختفى أيضا من القاهرة والاسكندرية لأن شركتى الترام فيهما قد احتدتا إلى اختراع آلى يجعل سواق الترام يحرك الخط إلى اليمين أو إلى اليسار قبل أن يبلغ نقطة الانتقال .

فهذان الاختراعان يبينان لنا مقدار ما تركه الآلات من الأثر فى معاش الناس ، إذ أن العائلات التى كانت تعيش فى عاصمتى القطر بالعمل فى شركتى الترام والإضاءة لا يقلل حددها عن ألفين وقد صار عائلوها إلى التعطل ، وهذان المثالان واضحان ، ولكن هناك أمثلة أخرى غير واضحة تبين التحول الاجتماعى وما يحدثه من تعطل كلى أو جزئى ، لأن الآلات قد استعملت بدلا من العمال ، ونحن نضرب بعض الأمثلة :

فقد كانت معاصر العسل من القصب كثيرة فى قرى الوجه القبلى ، ولكنها بادت الآن لأن مصنع السكر قد أغنى عنها ،

وكان الطبخ فى البيوت إلى قبل ثلاثين سنة يجرى كله بوقود مجلوب من الريف مثل الحطب أو غيره ، وكان كثيرون يعيشون فى الريف يجلبه كما يعيش الآن جالبو الخضراوات

والفواكه، ولكن آلة صغيرة هي كانون البترول قد أغنت عن الحطب وسائر الوقود، وصرنا تسترى هذه الآلة ولا نبني الكانون في المنزل كما صرنا نستعمل البترول بدلا من الحطب . وقبل عشرين أو ثلاثين سنة كان الريف المصرى حافلا بالجمال والخيول المعدة للنقل والبحر . فلم تكن قرية أو عزبة تخلو من حصان أو جمل . ولكن الأتومبيل قد اكتسحهما وأخذ مكانهما . فانظر إلى عدد العمال الذين كانوا يكسبون عيشهم باستنتاج العلف لهذه الدواب أولا ، ثم إلى عدد أولئك الآخرين الذين كانوا يكسبون عيشهم باستخدام هذه الدواب في البحر والنقل . ثم اذكر بعد ذلك أثر ذلك في الدورة الزراعية . ولا تنس أيضا أن النقل في المدن كان بعربات الحنطور قصار — إلى حد بعيد — بالأتومبيل، فزالت بذلك صناعة وطنية كان يعيش منها ألوف العمال في المدن والريف . وقد جرى هذا التطور في صمت . ولكن هذا الصمت يجب ألا يعمينا عن التعطل الذي أفساه هنا وهناك .

ولم تكن الأعمال الزراعية إلى وقت قريب تؤدي بغير الماشية حرثا ورياً . ولكن آلات الري قد أصبحت بخارية أو موطرية حتى عند الممالك المتوسطة الذي لا يزيد عقاره على أربعين أو خمسين فدانا . أما الدوائر الكبيرة فإنها الآن تحرث الأرض وتسقي الزرع وتحصد القمح بالآلات . وقد أفشى هذا نوعا من التعطل لا تكاد نحسه جرّ في أثره اختلاطا وهرجا في البيئات الزراعية . فان الآلة الزراعية التي تحرث في اليوم عشرين فدانا تحتاج إلى عامل واحد وتستهلك البترول . وهذا العامل يؤدي عمل عشرين عاملا في الحرث غير العمال الذين كانوا يهثون علف الماشية ويقومون بصيانتها . وقس على ذلك .

ونستطيع أن نعدد الأمثلة . فهنا مصنع التجارة الذي يصنع النوافذ والأبواب والآلات ويخرج في اليوم نحو ثلاثين أو أربعين نافذة وبابا . وهو بهذا العمل ياتي في التعطل عشرات التجارين المستقلين . وهذه آلة أخرى للطبع تخرج آلاف النسخ في الساعة وتغني عن عامل اليد . الخ .

وتفشى الآلات بيننا يجب لهذا السبب أن يلقي الانتباه والعناية اللذين يستحقهما العامل المصرى . ولسنا نغني منع الآلات ، فان الأمم الكبرى لم تحقق ثروتها الضخمة وقوتها العظيمة إلا باستعمال الآلات . ولكنا نود أن يكون تطورنا الصناعى متمشيا مع العناية بالتعطل ومع النظر البعيد إلى آثار كل انقلاب ، هذا الانقلاب الذي تحشاه الأمم الأوروبية نفسها . فان هتفارا مبتلا تمنع استعمال الآلات البخارية أو الموطرية في الزراعة خشية أحداث التعطل بين الفلاحين وخوفا من التأثير السيئ في الاقتصاديات الزراعية التي تنتج من محو الثيران والخيول . ونظان أن الأمة والحكومة يجب أن تتعاونوا على درس هذا الموضوع ووزن إمكاناته الحسنة والسيئة . فاننا من ناحية يجب ألا نقف عن الرقي الآلى ولكن من ناحية أخرى يجب أن نقي عمالنا خطر التعطل .